إسهام العلماء الأندلسيين في الحركة العلمية بتلمسان خلال القرن السابع الهجري(13م).

أ.د عبد القادر بوباية*

مقدمة: بفضل الجهود التي بذلها أمراء وخلفاء بني أمية صارت العدوة الأندلسية بداية من القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) قبلة لطلبة العلم، ومقصدا للعلماء الذين جاءوها من المشرق والمغرب، وساهموا في ازدهار الحركة العلمية بها، وقد استمر ذلك العطاء العلمي حيث بلغ أوجه على عهد ملوك الطوائف رغم التشرذم السياسي والتناحر المقيت ومدّ الأيدي للعدو النصراني، ولكنها لم تلبث أن فقدت هذه المكانة بعد أفول نجم ملوك الطوائف سنة 483هـ/1090م، وعلى الرغم من المساعدة التي قدمها المرابطون والموحدون من بعدهم فإن مسلمي الأندلس أصبحوا أكثر من أي وقت مضى عرضة لهجمات النصارى وبخاصة منذ استيلائهم على مدينة طليطلة سنة478هـ/1085م.

نتيجة لذلك كله اضطر سكان الأندلس عامة، وفي مقدمتهم العلماء إلى مغادرة بلادهم بحثا عن مستقر جديد يوفر لهم الأمن والدعم المادي من أجل مواصلة عطائهم العلمي، وكانت هجراتهم تلك نحو مختلف مدن بلاد المغرب، ومنها تلمسان التي صارت قبلة كثير من هؤلاء العلماء، وبخاصة خلال القرنين السادس والسابع الهجريين.

إن هجرة هؤلاء العلماء سيكون له الأثر البالغ في وضع النواة لمركز علمي جديد سيضاهي بعد زمن يسير المراكز العلمية المتواجدة ببلاد المغرب الإسلامي، وبخاصة منها جامع القرويين المتواجد في مدينة فاس وجامع القيروان الوجود بإفريقية، كما أن استقرار هؤلاء العلماء في تلمسان سيضع البذور الأولى لحركة علمية ستتجسد من خلال بروز عديد العلماء التلمسانيين.

* - أستاذ التعليم العالي في تاريخ المغرب والأندلس- قسم التاريخ- ومدير مخبر تاريخ الجزائر- جامعة وهران.

ومن خلال هذه المقالة المتواضعة سأعمل على إبراز أهم العوامل التي دفعت هؤلاء العلماء الأندلسيين إلى الهجرة نحو بلاد المغرب عامة، وتلمسان بصفة خاصة، كما سأتطرق إلى الجهود التي بذلها هؤلاء العلماء في تطوير الحركة العلمية فضلا على إيراد تراجم لأبرز العلماء الأندلسيين الذين استقروا في مدينة تلمسان.

عوامل هجرة العلماء الأندلسيين إلى تلمسان:

1- تدهور أوضاع المسلمين في العدوة الأندلسية: تعرّض المسلمون منذ سقوط مدينة طليطلة إلى هجمات النصارى التي ستأتي على ما بقي بأيدي المسلمين من حواضر وقرى، ونتيجة لذلك لم يبق في أيديهم إلا الجزء الجنوبي فقط، والذي سيفقدونه رغم المجهود الذي بذله المرابطون والموحدون حيث سيطر عليه النصارى، الذين استولوا على سرقسطة سنة 512هـ/1118م، والمرية وأشبونة سنة 542هـ/1147م)، وطرطوشة سنة 543هـ/1148م، وشنترين سنة 555هـ/1160م[1]، وازداد الأمر سوءا بعد هزيمة الموحدين في موقعة حصن العقاب سنة 609هـ/1212م، حيث سيطر النصارى على قرطبة سنة 633هـ/1236م، وبلنسية سنة 636هـ/1238م، ثم تلاها سقوط مدن شقر سنة 639هـ/1241م، وجيان سنة 643هـ/1245م، وشاطبة سنة 644هـ/1246م، وإشبيلية سنة 645هـ/1247م، ومرسية سنة 664هـ/1265م[2].

ونتيجة لذلك "بادر المسلمون بالجواز إلى العدوة من المراسي..."، ومنهم "أهل المرية إلى تلمسان"[3]، ولعلّ الذي دفعهم إلى ذلك ما ذكره ابن سعيد المغربي حين قال: "والأندلسيون يقولون كأنها من مدن الأندلس لمياهها وبساتينها وكثرة صنائعها"[4].

2- مكانة تلمسان العلمية: كانت مدينة تلمسان أحد المراكز العلمية على عهد الحكام الذين تعاقبوا عليها، ويؤكد ذلك جلّ الكتاب الذين وصفوا هذه المدينة في كتاباتهم، ومن ذلك ما جاء في كتاب المسالك والممالك الذي يقول مؤلفه: "ولم تزل تلمسان دارًا للعلماء والمحدثين، وحملة الرأي على مذهب مالك بن أنس رحمه الله[5]، ونفس الكلام يورده مؤلف كتاب الاستبصار الذي يقول: ومدينة تلمسان مدينة علم وخير، ولم تزل دار العلماء والمحدثين"[6].

3- عناية ملوك بني زيان بالعلم والعلماء: ازدادت أهمية تلمسان العلمية عقب قيام دولة بني عبد الواد، ويؤكد ذلك ابن خلدون حين يقول: "نزلها آل زيان، واتخذوها دارًا لملكهم، وكرسيا لسلطانهم، فاختطوا بها القصور المؤقتة والمنازل الحافلة، واغترسوا الرياض والبساتين،

وأجروا خلالها المياه، فأصبحت أعظم أمصار المغرب"، ونتيجة لذلك كله "رحل إليها الناس من القاصية، ونفقت بها أسواق العلوم والصنائع، فنشأ بها العلماء، واشتهر فيها الأعلام، وضاهت أمصار الدول الإسلامية والقواعد الخلافية"[7].

ويضيف ابن خلدون في مكان آخر من مؤلفه قائلا: "ووفد عليه لأول دولته ابن وضاح إثر دولة الموحدين، أجاز البحر مع جالية المسلمين من شرق الأندلس، فآثره وقرّب مجلسه وأكرم نزله، وأحله من الخلة والشورى بمكان اصطفاه له"، ووفد في جملته أبو بكر بن الخطاب المبايع لأخيه بمرسية، وكان مرسلا بليغا، وكاتبا مجيدا، وشاعرًا محسنا؛ فاستكتبه وصدر عنه من الرسائل في خطاب خلفاء الموحدين بمراكش وتونس في عهود بيعاتهم ما تنوقل وحفظ"[8]، ويؤكد يحي ابن خلدون ما ذهب إليه أخوه حيث قال: "إن يغمراسن بن زيان كان "يؤثر الصالحين والعلماء، ويجالسهم كثيرا"[9].

وهو نفس الرأي الذي يذهب إليه أبو عبد الله التنسي حيث يقول: "وله في أهل العلم رغبة عالية، يبحث عليهم أين ما كانوا، ويستقدمهم إلى بلده، ويقابلهم بما هم أهله"[10]، ويضيف أيضا: "ولما اشتهر اعتناؤه بالعلم وأهله، وفد عليه من الأندلس خاتمة أهل الآداب، المبرّز في عصره على سائر الكتاب أبو بكر محمد بن عبد الله ابن داود بن خطاب؛ فأحسن نزله ومثواه، وقرّبه من بساط العزّ وأدناه، وجعله صاحب القلم الأعلى، ومقام ابن خطاب هذا في العلم شهير لا سيما الأدبيات، واستوفى التعريف به ابن رشيد قال: "وبوفاته انقرض علم الكتابة"[11].

نتيجة لهذه العوامل كلها هاجر العديد من العلماء الأندلسيين إلى مدينة تلمسان سواء من أجل اتخاذها كموطن دائم أو من أجل التدريس بها، واختارت الأغلبية الاستقرار بها نظرًا لما أحاطهم به حكام المدينة، وبخاصة ملوك بني زيان، من كرم ومكانة عالية فضلا، على الدعم المادي الذي وفر لهم ما كانوا في حاجة إليه من أجل مواصلة نشاطهم العلمي.

أبرز العلماء الأندلسيين بتلمسان ونشاطهم بها:

1- أبو العيش بن عبد الرحيم الخزرجي: وهو محمد بن أبي زيد عبد الرحيم بن محمد بن أبي العيش الخزرجي، إشبيلي الأصل، روى ببلده عن أبي بكر محمد بن يوسف بن مفرج بن سعادة، وأبي عبد الرحمن التجيبي وأبي عبد الله بن عبد الحق وأبي محمد بن حوط الله.

كان أديبا بارع الكتابة، شاعرًا مجيدًا، رائق الخط، ذا مشاركات في فنون العلم، مؤلفا متقنا، فسّر الكتاب العزيز، وشرح الأسماء الحسنى، وصنف عقائد أصولية في الدين، وكتبا في أصول الفقه، وله في التصويف نظم حسن كثير في الزهد وسبل الخير والوعظ، وتنزيه الباري سبحانه وتعالى، وتوفي بتلمسان[12].

2- أبو عبد الله الحلوي، الشيخ الولي أبو عبد الله الشوذي الإشبيلي المعروف بالحلوي، نزيل تلمسان، ومن كبار العباد العارفين، حدث الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن محمد بن دهاق الأوسي المعروف بابن المرأة قال: "أتيت من مرسية زائرًا عمّة لي بتلمسان، وتطوفت يوما بتلمسان، فرأيت هذا الشيخ...، قال لي: بماذا تحترف؟ قلت: بالقراءة، قال: "أتريد أن تقرأ"؟ قلت: "نعم"، قال: إيتني إن شاء الله بالمسجد الذي بخندق عين الكسور من المنية التي بخارج باب القرمدين، وتقرأ ما تريد"، فخرجت إليه من الغد فوجدته جالسا بالمسجد لوعدي، فسلمت وجلست، فقال: ما الذي تريد قراءته؟ فقلت: ما ألهمك الله إليه، قال: اقرأ كتاب الله أولا فهو أحق أن يفتتح به، فاستعذت بالله من الشيطان الرجيم، وقرأت بسم الله الرحمن الرحيم، فتكلم في فضلها عشرة أيام، ثم قرأت حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم شيئا من الأدب، قال المخبر: فكل ما تسمعونه من أدبي فمنه استفدت، وعنه أخذته في مدة حولين كاملين لم ينتقل فيها عما عهدته.

ومما ينسب إليه من النظم قوله:

إذا نطق الوجود أصاخ قـــوم بآذان إلـــــــى نطـــق الوجود

وذاك النطق ليس لـــه انعجام ولكن دق عـــــن فهـــم البليد

فكن فطنا تنـــادى مـــن قريب ولا تـــك مـــن ينادى مـــن بعيد

وقيل إنه ولي القضاء بإشبيلية آخر دولة بني عبد المؤمن، ثم فرّ بنفسه منه، وآوى إلى تلمسان في زيّ المجانين[13].

3- أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن محمد بن دهاق الأوسي، من أهل مالقة، وسكن مرسية، يكنى أبا إسحاق، ويعرف بابن المرأة، روى عن أبي الحسن بن حنين وأبي الحسن علي بن إسماعيل بن حرزهم، حدث بالموطأ عنهما، وكان فقيها حافظا للرأي مشاورًا.

كان أبو إسحاق مُتقدمًا في علم الكلام، حافظا ذاكرًا للحديث والتفسير والفقه والتاريخ وغير ذلك، وكان الكلام أغلب عليه، فصيح اللسان والقلم، ذاكرًا لكلام أهل التصوّف، يطرز مجالسه بأخبارهم، وكان بحرًا للجمهور بمالقة ومرسية، بارعا في ذلك، متفننا له، متقدما فيه، حسن الفهم لما يلقيه، له وثوب على التمثيل والتشبيه فيما يقرب للفهم، وكان صاحب حيل ونوادر مستظرفة، يلهي بها أصحابه ويؤنسهم.

مؤلفاته: منها شرحه كتاب الإرشاد لأبي المعالي، وكان يعلقه من حفظه من غير زيادة وامتداد، وشرح الأسماء الحسنى، وألف جزءًا في إجماع الفقهاء، وشرح محاسن المجالس لأبي العباس أحمد بن العريف، وألف غير ذلك، وتواليفه نافعة في أبوابها، حسنة الرصف والمباني، ولم يزل بمرسية يناظر عليه ويتحلق إليه إلى أن توفي بها في صدر سنة 611هـ/1214م[14].

تجول أحيانا، ودرس في غير ما بلد، وكانت العامة حزبه[15]، ومن بين المدن التي زارها تلمسان، ويؤكد ذلك يحي ابن خلدون حيث يذكر أنه التقى بأبي عبد الله الحلوي وأخذ عنه، ويضيف أنه" كان يدرس كتاب الطهارة من المدونة بالجامع"[16].

4- أبو بكر بن خطاب الغافقي المرسي: وهو محمد بن عبد الله بن داود بن خطاب الغافقي أبو بكر، نزيل تلمسان، من أهل مرسية، روى عن أبي بكر بن جهور وأبي بكر بن محرز وأبي بكر الغافقي وأبي علي الحسن بن عبد الرحمن الرفاء وأبي عيسى محمد بن محمد ابن أبي السداد وأبي المطرف بن عميرة وغيرهم، وأجازه أبو الربيع ابن سالم[17].

كان ابن خطاب كاتبا بارعا، وشاعرًا مجيدًا، كما كانت له مشاركة في أصول الفقه وعلم الكلام وغير ذلك مع نباهة وحسن فهم، ذو فضل وتعقل وحسن سمت، وقد ورد على غرناطة، واستعمل في الكتابة السلطانية مدة، وكان معلوم القدر، معظما عند الكافة، ثم رجع إلى مرسية، وقد ساءت أحوالها فأقام بها مدة، ثم انفصل عنها، وقد اشتدت أحوالها، واستقر في نهاية المطاف بمدينة بتلمسان كاتبا عن سلطانها أبي يحي يغمراسن بن زيان.

روى عن القاضيين أبي السداد وأبي بكر بن محرز وعن الأستاذ أبي بكر محمد بن محمد المعروف بالقرشي، وقرأ وسمع على هؤلاء ببلده، وأجاز له كتابه أبو الربيع بن سالم وغيره، ومن شعره قوله:

اقنـــع بـــما أوتيته تنـــل الغنى وإذا دهـــتـــك ملمـــة فتصبـــر

واعلم بـــأن الرزق مقسوم فلو رمنـــا زيـــادة ذرة لـــم نقـــدر
والله أرحـــم بالعباد فـــلا تسل أحدا تعش عيش الكرام وتؤجر
وإذا سخطت لؤس حالك مرة ورأيت نفسك قد غوت فلتصبر
وانظر إلى من كان دونك تذكر لعظيـــم نعمته عليك وتشكـــر[18]

بعد هذه الحياة الحافلة بالعطاء العلمي والمشاركة في تسيير الحكم من خلال خطة الكتابة توفي ابن خطاب في مدينة تلمسان يوم عاشوراء سنة 686هـ/1287م[19].

5- محمد بن عبد الرحمن بن علي بن محمد بن سليمان التجيبي، يكنى أبا عبد الله، من أهل لقنت عمل مرسية[20]، بينما يقول ابن القاضي وغيره إنه من أهل إشبيلية[21]، أخذ القراءات بمرسية عن أبي أحمد محمد بن معطى التجيبي وأبي الحجاج يوسف بن إبراهيم الغرى وأبي عبد الله بن الفرس وسمع منهم، ومن أبي محمد بن عبد الله وأبي محمد عبد الحق الإشبيلي وأبي جعفر بن مضاء وأبي عبد الله بن الفخار وأبي زيد السهيلي وغيرهم.

رحل إلى المشرق فأدى الفريضة، وأطال الإقامة هنالك، واستوسع في الرواية، وكتب العلم عن جماعة كثيرة زادت عن مائة وثلاثين من العلماء، ومنهم أبو طاهر السلفي الذي صحبه واختص به، كما عن حماد بن هبة الله الحراني وعبد الرحمن بن محمد بن منصور الحضرمي وأبي الرخاء أحمد بن طارق بن سنان وأبي محمد بن بري وأبي الحسن علي بن حميد الطرابلسي وشهدة بنت أحمد بن أبي الفرج، وغيرهم.

وحكى أنه لما ودع شيخه أبي طاهر سأله عما كتب عنه فأخبره أنه كتب كثيرًا من الأسفار ومئين من الأجزاء فسر بذلك، وقال له: "تكون مُحدِّث المغرب إن شاء الله، قد جمع في أسمائهم على حروف المعجم تأليفا مفيدا أكثر فيه من الآثار والحكايات والأخبار.

وقفل من رحلته الحافلة هذه فأخذ عنه في سبتة سنة 594هـ/1197م، ثم نزل تلمسان واتخذها وطنا، وحدّث بها وألف، ورحل الناس إليه، وسمعوا منه كثيرًا، وكان حافظا للحديث، محافظا على إسماعه، عدلا خيارًا، مُقيدًا لما روى، مُفيدًا بما جمع.

نظرًا لعلو روايته وتشاهر عدالته روى عنه جماعة، ومنهم أبو العباس بن العزفي وأبو عبد الله الأزدي وأبو عبد الله بن جعفر بن فرتون الذي ذكره في كتابه، وابن الأبّار القضاعي الذي كتب إليه بإجازة ما رواه وألفه في العشر الأواخر من رمضان سنة ثمان وستمائة.

مؤلفاته: برنامجه الأكبر، وبرنامجه الأصغر، ومعجم شيوخه في مجلد كبير، والأربعون حديثا في المواعظ، والأربعون في الفقر وفضله، وأربعون في الحب في الله، وأربعون في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ومسلسلاته في جزء، وكتاب فضائل الشهور الثلاثة رجب وشعبان ورمضان، وكتاب فضل العشر من ذي الحجة، وكتاب مناقب الحسن والحسين، وكتاب الفوائد الكبرى في مجلد، والفوائد الصغرى، وكتاب الترغيب في الجهاد، خمسون بابا في مجلد، وكتاب المواعظ والرقائق سفران، وكتاب في مناقب شيخه أبي طاهر السلفي وفهرسة.

ولد في لقنت في نحو الأربعين وخمسمائة، وتوفي بتلمسان في جمادى الأولى سنة عشرة وستمائة/1213م[22].

6- أبو الحجّاج يوسف بن علي بن محمد بن عبد الرزاق الأشعري: من أهل الأنجرون من بشرة غرناطة، أصولي، أديب بليغ، روى عن أبي جعفر بن حكم الزاهد وأبي زكرياء الأصبهاني وأبي الحجاج بن الشيخ وغيرهم، مولده في أخريات ذي قعدة سنة 577هـ(1181م)، وتوفي في عشر الأربعين وستمائة بمدينة تلمسان، روى عنه أبو علي بن أبي الأحوص وأبو عبد الله الطنجالي وذكراه[23].

7- أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن شلوط المعروف بالشباريتي، من أهل بلنسية، له رحلة حج فيها، وسمع بمكة من أبي الحسن علي بن حميد الطرابلسي وأبي محمد المبارك بن الطباخ، ثم قفل إلى المغرب فسكن تلمسان مدة، وأخذ عنه هنالك، وتحوّل بعدها إلى بلده أين روى عنه أبو عبد الله بن الآبار، وكان مُحدثا عدلا خيارا، مُحترفا بالطب ماهرًا فيه، وتوفي في نحو العشر وستمائة[24].

8- أبو الحسن طاهر بن علي بن محمد بن عبد الرحمن السلمي: من جزيرة شقر، وسكن مرسية ثم تلمسان، تلا بحرف نافع على أبي بكر بن أبي القاسم محمد بن وضاح، وروى عنه، وعن أبي الحجاج بن محمد بن طملوس وتفقه به، وأبي الحسن ابن عمر بن أبي الفتح وتفقه به، وأبي الحسن ابن حريق وتأدب به، وأبي الحسن ابن قطرال وأكثر عنه وأجاز له، وأبي الخطاب ابن واجب وأبي الربيع بن سالم، وأكثر عنه وأجاز له، وأبي زكرياء بن أبي يحي أبو بكر بن عصفور العبدري التلمساني ولقيه بها، وأبي عبد الله بن يحي بن داود التادلي، ولازمه في النحو والأدب، وأبي العباس بن علي بن مطرّف، وأبي محمد ابن باديس وأبي محمد عبد الحق بن محمد

الزهري، وأبي المطرّف بن عميرة وانتفع به كثيرًا في الطريقة الأدبية، وأجاز له أبو الحسن ابن خيرة سنن أبي داود وشهاب القضاعي.

أجاز له ولم يلقه أبو الحسن ابن محمد ابن القطان، وأبو الحسن محمد بن محمد بن زرقون، وأبو العباس بن محمد العزفي، وأبو علي عمر بن محمد ابن الشلوبين، وأبو مروان محمد بن أحمد الباجي وسماه عبد الملك وهما.

روى عنه أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن عيسى الحسني الذي لقاه بتلمسان، وكان ذا حظ من النظم والنثر، شديد العناية بتقييد الأشعار والرسائل، وله فيها مصنفات، وكتب بخطه الكثير في كل فن، وشهر بسرعة الكتب[25].

9- أبو جعفر أحمد بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عياش التجيبي: سكن مراكش وهو من برشانة، وسكن قبلها سرقسطة، أخذ عن أبيه وأبي الخطاب أحمد بن أبي الحسن محمد بن واجب وأبي القاسم أحمد بن يزيد بن بقي، وكانت له عناية تامة بالأدب، وكتب عن المستنصر أبي يعقوب يوسف بن الناصر أبي عبد الله من آل عبد المؤمن والمأمون فمن بينهما، وكان كاتبًا مُحسنًا بارع الخط، رائق الطريقة فيه، نفّاعًا لأصحابه وذوي معرفته بجاهه وماله، كان منزله مألفا لطلبة العلم يأوون إليه، وقد استقضي بسبتة وبتلمسان، ومن المؤكد أنه قد درّس في هذه الأخيرة كما فعل في بلده، وتوفي متلبسا بالكتابة عن المأمون، وقيل توفي بسبتة قاضيا له في محرم سنة 629هـ(1231م)[26].

10- محمد بن يوسف بن مفرج بن سعادة: من أهل إشبيلية، يكنى أبا بكر وأبا عبد الله، أخذ القراءات عن أبي الحسن شريح بن محمد، وأبي العباس بن حرب وسمع منهما، ومن أبي بكر بن العربي وأبي بكر بن مدير بن رزق، وأجازوا له هم أو منهم، وأبو طاهر السلفي، ولم يسمع من شريح إلا موطأ مالك رواية يحي بن يحي، وصحيح البخاري رواية أبي ذر خاصة.

روى عنه أبو إسحاق إبراهيم بن عبد العزيز بن أحمد الهواري، وأبو زكرياء يحي بن عصفور، وأبو العباس بن المرّي، وأبو العيش بن عبد الرحيم الخزرجي.

كان مجودا للقرآن، محدثا ضابطا، عالي الرواية، نزل تلمسان وعمّر بها، وأخذ عنه الناس حتى عمّر وأسنّ، وحكى أبو العباس بن المُزيّن أنه لقيه بتلمسان في شهر ربيع الآخر سنة ستمائة (1203م)، ويقول ابن الآبار: إنه "توفي سنة ستمائة"[27].

11- عبد العزيز بن يوسف بن عبد العزيز بن يوسف ين إبراهيم بن فيرة بن عمر اللخمي: من أهل مرسية، وسكن تلمسان، وأصله من أندة، يُعرف بابن الدبّاغ، ويكنى أبا الأصبغ.

شيوخه: روى عن أبيه القاضي الإمام المحدث الحافظ أبي الوليد يوسف، وعن جدّه لأمه أبي عبد الله محمد بن أحمد بن موسى بن وضاح القيسي، وسمع صحيح مسلم من أبي عبد الرحمن مساعد بن أحمد الأصبحي، وأجاز له أبو عامر بن حبيب وأبو عبد الله ابن الحاج الشهيد وأبو الحسن شريح بن محمد وأبو بكر بن العربي ويونس بن مغيث وأبو القاسم بن بقي وغيرهم، وشيوخه أزيد من خمسين.

لم يكن الحديث شأنه، أجاز لأبي محمد عبد الله بن الحسن القرطبي الحافظ سنة 598هـ(1201م)، أجاز له في التاريخ، وحدث عنه أبو القاسم الملاحي وأبو العباس بن المزين الذي لقيه بتلمسان سنة600هـ(1203م)، وقد نيف على السبعين[28]، وكانت وفاته سنة 602هـ(1205م)[29].

الخاتمة: من خلال كل ما سبق ذكره يتبين لنا الدور الكبير الذي قام به العلماء الأندلسيين في النهضة العلمية التي شهدتها مدينة تلمسان خلال هذا القرن، والقرون التي ستليه حيث كانوا واضعي البذور التي ستنتج تلك الحركة العلمية المتميزة التي شهدها المغرب الأوسط عامة، ومدينة تلمسان بصفة خاصة.

لقد قدّم هؤلاء العلماء جلّ خبراتهم ورصيدهم العلمي في سبيل خدمة تلمسان باعتبارها إحدى مراكز العلم والثقافة في المغرب الإسلامي، وبذلك فقد عوّضوا ما فقدته الأندلس، وواصلوا عطاءهم العلمي نتيجة لتوفير حكام تلمسان سواء في العهد الموحدي أو العهد الزياني للشروط التي تسمح للعلماء بالإبداع والتأليف فضلا على تقديم العلم للطلبة المتعطشين إليه.

تجسّد العمل الكبير الذي قدّمه هؤلاء العلماء الأندلسيين وغيرهم في الازدهار الذي شهدته الحركة العلمية بتلمسان خلال القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي)، والذي سيُجسّده إنشاء المدارس الخمسة[30] التي ستتولى تبليغ العلم إلى طلبة العلم الذين أموا تلمسان من مختلف الأصقاع.

الهوامش:

1- عبد الرحمن علي الحجي- التاريخ الأندلسي- دار القلم- دمشق- ط4- 1415ه- 1994م- صص440 وما بعدها.

2- أبو العباس المقري- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب- تحقيق يوسف علي طويل ومريم قاسم طويل- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1415هـ- 1995م- ج6 ص219 وما بعدها/عبد الرحمن علي الحجي- التاريخ الأندلسي- صص472-482.

3- مجهول- كتاب نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر- تحقيق ألفريد البستاني- مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة- ط1- 1423هـ-2002م- ص48.

4- ابن سعيد المغربي -كتاب الجغرافيا- تحقيق إسماعيل العربي- ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر-1982م- ص 140.

5- البكري أبو عبيد- المسالك والممالك- تحقيق أدريان فان ليوفن وأندري فيري- بيت الحكمة- قرطاج- الدتار العربية للكتاب- تونس- 1992م- ج2 ص746.

6- مجهول- كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار- تحقيق سعد زغلول عبد الحميد- دار النشر المغربية- الدار البيضاء- 1985م -ص177.

7- ابن خلدون عبد الرحمن- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر- بيت الأفكار الدولية- الأردن-د.ت- ص1845.

8- ابن خلدون- العبر- ص1846.

9- يحي ابن خلدون- بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد- تحقيق عبد الحميد حاجيات- المكتبة الوطنية- الجزائر- 1400ه- 1980م- ج1 ص204.

10- محمد بن عبد الله التنسي- تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان- تحقيق محمود بوعياد- إصدارات المكتبة الوطنية- المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر-1405ه- 1985م-ص126.

11- التنسي- تاريخ بني زيان- ص127- 128.

12- بغية الرواد- ص103-104/أبو القاسم محمد الحفناوي- تعريف الخلف برجال السلف- سلسلة الأنيس- موفم للنشر- الجزائر-1991م- ص 168- 169.

13- بغية الرواد- ص127-128/ابن مريم المليتي المديوني- البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان- ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر-1986م- ص68-70.

14- ابن الخطيب لسان الدين- الإحاطة في أخبار غرناطة- تحقيق يوسف علي طويل- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1424هـ-2003م-ج1ص168/ابن فرحون المالكي- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب- دراسة وتحقيق مأمون بن محي الدين الجنان- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1-1417هـ-1996 م- ص147/أحمد ابن القاضي المكناسي- جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس- دار المنصور للطباعة والوراقة- الرباط-1973م- ج1 ص90/ابن الأبار- التكملة لكتاب الصلة- ج1ص140.

15- ابن الأبار القضاعي- التكملة لكتاب الصلة- تحقيق عبد السلام الهراس- دار الفكر- بيروت-1415هـ-1995م- ج1 ص140.

16- ابن خلدون- بغية الرواد- ص128.

17- نفسه- ص129.

18- ابن الخطيب- الإحاطة- ج2ص295/بغية الرواد- ص129.

19- الإحاطة- ج2 ص299.

20- ابن الأبار القضاعي- التكملة لكتاب الصلة- ج2 ص 102.

21- ابن القاضي المكناسي- جذوة الاقتباس- ج1 ص276/المقري- نفح الطيب- ج3 ص136.

22- ابن الأبار القضاعي- التكملة لكتاب الصلة- ج2 صص102-104/ ابن القاضي- جذوة الاقتباس- ج1ص276-277/محمد بن محمد مخلوف- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية- تحقيق عبد المجيد خيالي-دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1424هـ-2003م- ج1 ص248.

23- ابن الزبير الثقفي الغرناطي- كتاب صلة الصلة- تحقيق عبد السلام الهراس وسعيد أعراب- منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- الرباط- 1413هـ- 1993م- ق5ص 291-292.

24- ابن الآبار- التكملة لكتاب الصلة- ج3 ص227/أبو عبد الله بن عبد الملك- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة- تحقيق إحسان عباس- دار الثقافة- بيروت- د.ت- السفر الخامس- ق1 ص413.

25- أبو عبد الله بن عبد الملك- الذيل والتكملة- السفر الرابع- ص155- 156.

26- ابن الأبار- التكملة لكتاب الصلة- ج1 ص105/أبو عبد الله بن عبد الملك- الذيل والتكملة- السفر الأول- ق2 ص464-465.

27- التكملة لكتاب الصلة- ج2 ص86/ يحي بن خلدون- بغية الرواد- ص129.

28- التكملة- ج3 ص96- 97/ ابن الزبير- صلة الصلة- ق3 ص253.

29- عبد الحميد حاجيات- الحياة الفكرية في الجزائر في عهد المرابطين والموحدين- الجزائر في التاريخ-3- العهد الإسلامي- المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر-1984م- ص342.

30- أول مدرسة أسست بتلمسان هي التي بناها أبو حمو موسى الأول، ثم بنى ابنه أبو تاشفين الأول المدرسة التاشفينية بجانب الجامع الأعظم، وبنى أبو الحسن المريني مدرسة بقرية العباد سنة 748هـ(1347م)، وأنشأ ابنه عنان مدرسة أخرى بجانب مسجد الولي الصالح أبي عبد الله الشوذي الإشبيلي سنة 754هـ(1353م)، وأسس أبو حمو موسى الثاني المدرسة اليعقوبية سنة 765هـ(1363م). عبد الحميد حاجيات- الحياة الفكرية بالجزائر في عهد بني زيان- نفس المرجع- ص438.